

القاسم المشترك هو إيران



مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

مكان انطلاق الهجمة، فإن القاسم المشترك بين جميع الفرضيات والمعطيات هو أن إيران، والحرس الثوري الإيراني إضافة إلى أذرعه المدربة والمسلحة والعابرة للحدود المصلحة الأولى في بث الفوضى في سوق النفط العالمي لترسل من جهة رسالة إلى الولايات المتحدة بأنها قادرة على زعزعة ليس فقط الاستقرار في المنطقة بل استقرار الأسواق العالمية؛ ورسالة موازية لمنافسها الإقليمي، المملكة العربية السعودية، بأنها أصبحت مجهزة لتضرب ضربات موجعة في العمق السعودي.

فبعد أن اتضح لإيران وعملائها أن السعودية محصنة بشكل فائق ضد صواريخ الحوثيين، وقادرة على اعتراضها وإسقاطها قبل أن تبلغ هدفها، لجأ فيلق القدس التابع للحرس الثوري إلى حملة تدريب واسعة لميليشياته من اليمن إلى لبنان مروراً بسوريا والعراق من أجل استخدام تقنية بديلة للهجوم على السعودية، بل قام بنقل بعض الأفراد من الميليشيات التابعة له لتدريبهم في إيران على تجميع الطائرات المسيّرة وإدارتها وإصلاحها.

لم تكن لتجف بعد دماء ناقلة النفط البريطانية "ستينا امبيرو" التي قرصتها حكومة طهران بتنفيذ من الحرس الثوري الإيراني المرتبط مباشرة بدولة الملاي والمصنّف مجموعة إرهابية على لوائح مكافحة المنظمات الإرهابية في واشنطن، حتى اندلعت أزمة دولية نتجت عن هجوم غير مسبوق على أراضي المملكة العربية السعودية استهدف منشآت نفطيتين تابعتين لشركة أرامكو في محافظتي بقيق وخريص.

وتم تنفيذ الهجوم بواسطة عشر طائرات مسيّرة (درون) ونجم عنه تدمير واسع في المنشآت التي أدى إلى انخفاض إنتاج النفط السعودي إلى نصف حجمه.

التحقيقات الجارية حول الهجوم ستؤكد ما إذا كان الاعتداء قد تمّ بالدرون فقط أم أنه قد دُعِم بصواريخ كروز، حيث تتوارد معلومات عن أن الطائرات انطلقت من الأراضي الإيرانية وليس من اليمن طبقاً لمعلومات مطابقة نشرتها صحيفة وول ستريت جورنال الأميركية.

أما عن ردود الفعل على المستوى الحكومي الأميركي، فقد سارع وزير الخارجية مايك بومبيو إلى اتهام إيران بأنها وراء الاعتداء على الأراضي السعودية ومنشآتها الحيوية في محافظتي بقيق وخريص في المنطقة الشرقية، مستعداً لانطلاق الهجمات من اليمن بسبب المسافة الفاصلة التي لا يمكن أن تجتازها طائرات الدرون.

وغرّد بومبيو على حسابه في تويتر قائلاً "تقف طهران وراء ما يقارب من مئة هجوم على السعودية بينما روحاني وطريف يدعيان التزامهما بالدبلوماسية". وأكد عضو مجلس الشيوخ الأميركي توم كاتن في تصريح رسمي أصدره حال وقوع الهجمات الإرهابية، على تعهد الولايات المتحدة بحماية أمن المملكة العربية السعودية قائلاً "الولايات المتحدة الأميركية تقف إلى جانب الشركاء السعوديين في مواجهة حملة إيران الإرهابية عبر الشرق الأوسط".

وأضاف كاتن في بيانه الرسمي "إن الجهود اليائسة التي يبذلها آية الله لشل أسواق النفط العالمية ستدفعنا إلى تجديد التزامنا بتطبيق أقصى الضغوط على إيران؛ يجب على النظام الإيراني ووكلائه مواجهة عواقب هذه الهجمات". أما الرئيس الأميركي دونالد ترامب، فقد اتصل هاتفياً بولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وعرض دعمه للسعودية في "الدفاع المشروع عن النفس"، مضيفاً أن الولايات المتحدة "ما زالت ملتزمة بضمان استقرار أسواق النفط العالمية، وأن تلك الأسواق لديها إمدادات النفط اللازمة".

التحقيقات جارية لكشف مكان انطلاق طائرات الدرون، فمن المستبعد بشكل كبير أن تكون انطلقت من اليمن الذي يفصل حدوده عن مكان الهجمات مسافة 500 ميل رغم إصدار الحوثيين بياناً رسمياً يتبنون فيه الهجمات الأوسع منذ تشكيل التحالف العربي بقيادة المملكة لدحر وكلاء إيران من الميليشيات الحوثية في اليمن. ورغم إشارة محققين من الأمم المتحدة إلى أن الحوثيين حصلوا على طائرات دون طيار متطورة يمكن أن يصل مدى طيرانها إلى 930 ميلاً، الأمر الذي يترك الباب مفتوحاً أمام احتمال أن تكون الطائرات دون طيار المستخدمة في الاعتداء قد حُلقت من الأراضي التي يسيطر عليها الحوثيون في اليمن. ومهما كشفت التحقيقات عن



الرجل الذي حاول إنقاذ سوريا

أن رهانها على إصلاحات في سوريا لم يكن في محله. وهذا ما يفسر إلى حد كبير عودة العلاقات الفرنسية - الأميركية إلى طبيعتها بعد تجاوز الفتح الذي رافق الغزو الأميركي للعراق ومن ثم عمل الدبلوماسية الأميركية والفرنسية على صياغة القرار رقم 1559 الذي يدعو إلى حل كل الميليشيات، أي حل ميليشيا "حزب الله" التي بقيت وحدها حية ترزق في لبنان، وانسحاب كل الجيوش الأجنبية من البلد. والمعني بالجيوش الأجنبية الجيش السوري الذي لعب في لبنان منذ 1976 دور قوة الاحتلال.

دعم جاك شيراك سوريا ودعم لبنان الذي عرف كل زعمائه فرداً فرداً وكبار الشخصيات فيه. كان الرد الإيراني - السوري، على القرار 1559 الذي صدر في الثاني من أيلول - سبتمبر 2004، تمديد ولاية رئيس الجمهورية أميل لحود وسلسلة من عمليات الإغتيال توجت بتفجير موكب رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط - فبراير 2005. قال جاك شيراك للزميلة والصديقة جيزيل خوري في سياق حديث أجرته معه في الذكرى الأولى لاغتيال رفيق الحريري: القرار 1559 شكّل الخطر الأكبر على حياة رفيق الحريري.

قبل حدوث ما حدث في العراق، سعى جاك شيراك إلى إنقاذ سوريا. فشل فشلاً ذريعاً. لكن فشله نبئكم كم كان بعيد النظر. قبل محاولته ثني جورج بوش الابن عن خوض مغامرة اجتياح العراق في 2003، حاول مساعدة بشار الأسد على المساهمة في بناء دولة عصرية بدل البقاء في أسر لعبة إيران ومشروعها التوسعي الذي قضى في نهاية المطاف على سوريا. يكاد هذا المشروع الإيراني أن يقضي على لبنان أيضاً. لبنان الذي أحبه جاك شيراك ودعمه باكراً من بوابة الاقتناع بأن المشروع الوحيد الذي كان يمكنه إنقاذ البلد هو مشروع رفيق الحريري الذي اسمه "الإنماء والإعمار" والذي يظهر أن صفحته طويت في السنة 2019... سنة رحيل جاك شيراك.

اكتشفت فرنسا واللبنانيون مع وصول بشار الأسد إلى قصر المهاجرين أن إيران صارت صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في دمشق وصار «حزب الله» بمثابة جزء لا يتجزأ من تركيبة النظام السوري

للوزراء، حتّى في ظل رئيس اشتراكي هو فرنسوا ميتران، وجد نفسه مضطراً لـ"مساكنة" الديغوليين. جاء ذلك تمهيداً لوصوله إلى قصر الإليزيه في العام 1995 ليغادره في 2007 تاركاً فراغاً ليس بعده فراغ.

كان مثبثاً تركيز كل وسائل الإعلام العالمية على الموقف الذي اتخذته جاك شيراك في مرحلة الإعداد للحرب الأميركية على العراق. أظهر الرئيس الفرنسي وقتذاك بعد نظر ليس بعده بعد نظر في موقفه من جورج بوش الابن الذي لم يكن يمتلك أي نوع من الاستيعاب لمعنى تسليم العراق على صحن من فضة إلى إيران وماذا تعني إزالة العراق من معادلة التوازن الإقليمي. لكن الحلقة الغائبة في معظم التغطية للدور الذي لعبه جاك شيراك على صعيد الشرق الأوسط كانت تلك المتعلقة بمحاولته إنقاذ سوريا. راهن على بشار الأسد الذي خلف والده في العام 2000. اعتقد جاك شيراك أن بشار ينتمي إلى جيل مختلف من الحكام العرب الذين كانوا على تواصل مع كل ما هو حضاري في العالم. جيل يريد التعااطي مع الثورة التكنولوجية التي نقلت العالم إلى عالم مختلف. استثمر، بثشجيع من رفيق الحريري، في مساعدة سوريا. رفيق الحريري كان يعرف تماماً أن ازدهار لبنان من ازدهار سوريا والعكس صحيح وأن مساعدة سوريا على التخلص من نظام بيروقراطي عفا عنه الزمن سيساعدها في القيام بالنقلة النوعية التي يحتاجها دخول القرن الحادي والعشرين. استقبل جاك شيراك بشار الأسد، قبل أن يصبح الأخير رئيساً للجمهورية وتعاطى مع هذه الصفة. اتبع ذلك بسلسلة من الإجراءات العملية شملت إرسال خبراء فرنسيين إلى دمشق من أجل تحسين أداء الإدارة السورية. ذهبت كل جهود جاك شيراك هباء. اكتشف مع الوقت أن النظام السوري لا يمكن إصلاحه وأن العقلانية، وإن بنسبة قليلة، التي ميزت عهد حافظ الأسد لم يعد لها من وجود يذكر في عهد بشار الأسد. اكتشفت فرنسا واكتشف اللبنانيون مع وصول بشار الأسد إلى قصر المهاجرين أن طبيعة العلاقة السورية - الإيرانية تغيرت كلياً. صارت إيران صاحبة الكلمة الأولى والأخيرة في دمشق وصار "حزب الله" بمثابة جزء لا يتجزأ من تركيبة النظام السوري. أدركت فرنسا ذلك باكراً وأدركت خصوصاً

خير الله خير الله
إعلامي لبناني



هناك الكثير الذي يمكن قوله عن جاك شيراك الذي غادر عالمنا قبل أيام عن ستة وثمانين عاماً قضى منها 12 عاماً رئيساً للجمهورية الفرنسية. من السهل القول إن شيراك كان آخر كبار الرؤساء الفرنسيين، خصوصاً أن الذين خلفوه، في مقدمهم نيكولا ساركوزي، كانوا مجرد أقرام في السياسة بالمقارنة مع ما كان يمثلته ذلك الرجل الذي تربى في ظل جورج بومبيو، خليفة شارل ديغول.

عرف بومبيو كيف المحافظة على إرث شارل ديغول في الأيام الصعبة التي مرت فيها الديغولية التي كانت مدرسة بحد ذاتها. كانت تعني أول ما تعني الإيمان بعملة فرنسا وبفكر مستنير يرفض أي تبعية عمياء للولايات المتحدة.

بعد خروج شيراك من الرئاسة في العام 2007، لم تعد فرنسا وحدها في حال يرثي لها، خصوصاً بعدما تبين أن ساركوزي كان مستعداً لمساومات وصفقات مع النظام السوري الذي يرأسه بشار الأسد الذي تعرف فرنسا تماماً دوره في تغطية اغتيال رفيق الحريري.

مع رحيل جاك شيراك من عالمنا، نجد أن ليس الشرق الأوسط وحده الذي يتغير، بل إن أوروبا أيضاً بدأت تتغير في غياب رجال كبار عرفوا كيف يعيدون للقارة القديمة أمجادها وإعادة بنائها بعد كل ما دمّرتته الحرب العالمية الثانية. استطاع هؤلاء التعايش مع الحرب الباردة ومع التهديد الذي كان يمثله الاتحاد السوفييتي وفكره التوتاليتاري. ليس في أوروبا هذه الأيام زعيم واحد يستطيع أن يسال، حتّى، إلى أين يأخذ دونالد ترامب العالم أو هل يمكن وضع حدّ للسياسات الإيرانية التي لا حدود لتهورها ولتلك السياسات التي يمارسها فلاديمير بوتين الهارب الدائم من الأزمات الداخلية لروسيا إلى مناطق مختلفة في العالم مثل أوكرانيا أو سوريا؟ ليس في الإمكان تجاهل أن جاك شيراك حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وكان ذلك في سوريا أو لبنان، وقبل ذلك في العراق وفلسطين حيث اصطدم في أثناء زيارته للقدس في 1996 بالشرطة الإسرائيلية وقوات الجيش التي أرادت منعه من الاتصال بالفلسطينيين، أهل المدينة المقدسة الحقيقيين والأصيلين. امتلك جاك شيراك شجاعة قول الأشياء كما هي مدافعاً عن حقوق الشعب الفلسطيني وعن أرض فلسطين وعن القدس بالذات... وذرف دمعة على ياسر عرفات.

من الصعب استعادة جاك شيراك الذي أمضى ما يزيد على أربعة عقود في السياسة. كان رئيساً لمدينة باريس طوال 18 عاماً. كان وزيراً. كان رئيساً

